

مقاربة سوسيوثقافية للمجتمع الجزائري عند المفكر مالك بن نبي
Socio cultural approach to Algerian society according to Malek
Bennabi

ط.د. يمينة بن عروس*

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2، الجزائر

تاريخ التقييم: 2022/01/02

تاريخ الإرسال: 2022/01/02

تاريخ القبول: 2022/04/05

Abstract:

المخلص:

The thinker Malek Bennabi(1905-1973) was interested in culture, which represents intellectual & psychological characteristics, moral traits and social values that characterize an individual's behavior and lifestyle in society.

The study aims to reveal Bennabi's socio-cultural approach to Algerian society by looking at his concept of culture, its connotations and components, relying on the analysis of the content of the book The Problem of Culture, we concluded that Bennabi's culture means to the way and lifestyle of human, including similar values, customs, traditions, tastes.. in this society, it provides the individual with cognitive and behavioral experience. He identified its components in ethics, beauty, practical logic and science.

Keywords: Culture, ethics, beauty, effectiveness, science.

اهتمّ المفكر مالك بن نبي(1905-1973) بالثقافة كونها تمثل الخصائص الفكرية والنفسية والسمات الخلقية والقيم الاجتماعية لمجتمع ما، وعالج مكوناتها وخصائصها في عدة مجتمعات.

وقدّم المفكر أيضا تصوّرا لثقافة المجتمع الجزائري ومميّزاتها وانعكاساتها على سلوك وأسلوب حياة الفرد، ليعطي له مقاربة ثقافية تحليلية.

تهدف الدراسة إلى كشف مقاربة المفكر مالك بن نبي السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري بالاطلاع على مفهومه للثقافة ومركباتها، بالاعتماد على منهج تحليل محتوى لكتاب مشكلة الثقافة، لنصل إلى أنّ الثقافة عنده تعني اتجاه وأسلوب حياة، تشمل القيم والعادات والأذواق... تزوّد الفرد بالخبرة المعرفية والسلوكية، كما بلور مقاربة سوسولوجية ثقافية للمجتمع الجزائري محدّداً مركباتها وسماتها.

الكلمات المفتاحية: ثقافة، أخلاق، جمال، فعالية، علم.

* بن عروس يمينة، mina05alg@yahoo.fr

1- مقدمة

يعتبر علماء الاجتماع الثقافة أنها جملة عادات وتقاليد ناتجة عن التفاعل الاجتماعي، تساهم في ضبط وتنظيم السلوك والعلاقات الاجتماعية في المجتمع، ولا يخلو أي مجتمع منها.

بينما شكلت الثقافة عنصراً لصيقاً بمفهوم الحضارة عند المفكر مالك بن نبي (1905-1973)، تظهر في سلوكيات وأسلوب حياة الأفراد في المجتمع، وأن أي انحطاط حضاري يعكس ثقافة غير فعالة وأنها لم تنجز عملاً متحضراً، إضافة أن للثقافة أعراض مرضية تؤثر في المسار الحضاري للمجتمع.

انشغل المفكر مالك بن نبي بمفهوم الثقافة في مجتمعات عديدة وحضارات مختلفة، ولاحظ أن لا مجتمع بلا ثقافة، فهي تحمل هويته وخصوصياته الفكرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية للأجيال المتعاقبة عبر التاريخ، تميز أي مجتمع عن آخر، وتساهم في تقوية الفعالية الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

إذن كل ثقافة تربط الفرد بمجتمعه، بما تحمله من صفات خلقية وقيم اجتماعية فهي المجال الذي يظهر فيه أسلوب حياة المجتمع ويمارس فيه الفرد سلوكه وتتكون فيه شخصيته وطباعه. والثقافة في المجتمع الجزائري لا تستثنى من ذلك إلا أن لها خصوصيتها وأثرها في الحياة الاجتماعية وأولوياتها وإيجابياتها وسلبياتها.

ولهذا جاءت الدراسة للإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما هي العوامل المؤثرة في استمرارية الثقافة في المجتمع الجزائري عند المفكر مالك بن نبي؟
- وما هي تراكيب الثقافة الجزئية؟ وهل يمكن اعتبارها إطاراً للثقافة في المجتمع الجزائري؟
- ومن ثمة تم تحديد هذه الفرضيات:

- يعتبر المفكر مالك بن نبي أن لثقافة المجتمع الجزائري عوامل مؤثرة في استمراريتها.
- تعدّ المركبات جزئية (الأخلاق، الجمال، المنطق العملي والتوجيه الفني) إطاراً للثقافة في المجتمع الجزائري عند المفكر مالك بن نبي.

2- المقاربة النظرية

جاءت هذه الدراسة ضمن تخصص علم الاجتماع الثقافي، للكشف عن مفهوم الثقافة عند المفكر مالك بن نبي وربطها بمفاهيم سوسيولوجية أخرى ومن ثمة التمييز بينها والكشف عن خصوصياتها وتحليلاته لها والتعرف على فكره السوسيولوجي. ولهذا استندت إلى النظرية البنوية الوظيفية كافتراض نظري لأنها تدرس النسق الثقافي في المجتمع من خلال وظيفته وعلاقته مع الأنساق الأخرى كالنسق الاجتماعي والنسق الاقتصادي والنسق السياسي، النسق القرابي، النسق الثقافي "يشمل النسق الاجتماعي البناء والأداء الوظيفي معاً. وكل نسق من الأنساق الفرعية الأربعة يشبع حاجة إنسانية أساسية.. فالإقتصاد يشبع دافع التكيف (أي الاحتياجات المادية)، وثوقر الأنساق السياسية الفرعية أو نظام الحكم إطاراً مؤسسياً لتحقيق الأهداف، وتعمل المؤسسات القرابية على المحافظة على النمط (أنماط السلوك المقبولة) وإدارة التوتر (العواطف) ويحقق النسق الثقافي والاجتماعي الفرعي وظيفة التكامل (التنسيق بين مختلف أجزاء النسق وضبطها) والوصول إلى الأهداف. وتبدو الوظيفة التكاملية للنسق الثقافي والاجتماعي على درجة كبيرة من الأهمية (خلف عبد الجواد، 2016، ص 166).

ولمعالجة المقاربة السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري عند المفكر مالك بن نبي اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج تحليل المحتوى واختارنا كتابه "مشكلة الثقافة" وهي عينة مقصودة قمنا في ذلك بعرض بعض الجداول وتحليلها، حسب تفسيرات المفكر مالك بن نبي لأهم المفاهيم المرتبطة بمفهومه للثقافة.

3- ماهية الثقافة عند المفكر مالك بن نبي

قدّم المفكر مالك بن نبي مفهوما خاصا للثقافة وحدّد لها وظائفها وتراكيبها الجزئية، وبيّن دور التاريخ والتربية فيها، كما تعرّض للأزمة الثقافية ومميّزاتها.

1-2- مفهوم الثقافة ودور التاريخ والتربية فيها

يتوجّب للتعرف على ماهية الثقافة عند المفكر مالك بن نبي التّطرق إلى مفهوم الثقافة من خلال تقديم مجمل التعريفات التي وظّفها المفكر مالك بن نبي في مجموعة مؤلفاته وكذا دور التاريخ والتربية فيها.

1-1-1- مفهوم الثقافة

أعطى لها المفكر مالك بن نبي تعريفات عديدة، منها: "مجموعة من الصفات الخلقيّة والقيم الاجتماعيّة، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه؛ فهي على هذا التعريف المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيّته" (بن نبي، 1984، ص74).

فالثقافة هي: مجموعة من الصفات الخلقيّة والقيم الاجتماعيّة، التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيّته" (بن نبي، 1991، ص89).

والثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمّن من عادات متجانسة، وعقريّات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة: هي كلّ ما يعطي الحضارة سميتها الخاصّة ويحدّد قطبيها: بين العقليّة والروحانيّة (بن نبي، 1984، ص77).

الثقافة هي أولاً محيط معيّن يتحرّك في حدوده الإنسان، فيغذي إلهامه، ويكيّف مدى صلاحيّته للتأثير عن طريق التبادل، والثقافة جوّ من الألوان، والأنغام، والعادات والتقاليد والأشكال والأوزان، والحركات التي تطبع حياة الإنسان أئجاها وأسلوباً خاصاً يقوّي تصوّره، ويلهم عقريّته، ويغذي طاقاته الخلاقة، إنّها الرّباط العضوي بين الإنسان والإطار الذي يحوطه" (بن نبي، 1984، ص ص 102 - 103).

ويعرّفها كذلك: هي المحيط الفكري والسيكولوجي والاجتماعي الذي يكتنف الوجود الإنساني في المجتمع، ويزوّد بالخبرة المعرفيّة والسلوكيّة (بن نبي، 1991، ص125).

والثقافة "هي الجوّ العام الذي يحدّد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء، فإنّنا نكون بهذا عرّفنا الثقافة على أنّها ذلك الجوّ المتكوّن من عادات وتقاليد وأذواق." هي الجوّ المشتمل على أشياء ظاهرة، مثل الأوزان والألحان والحركات، وعلى أشياء باطنة، كالأذواق والعادات والتقاليد. بمعنى أنّها الجوّ العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معيّن وسلوك الفرد فيه بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر" (بن نبي، 2002، ص147).

كما يعرفها "هي الجوّ المتكوّن من ألوان وألحان ونغمات وروائح وسكنات وأصواء، ومن جوانب مظلمة، إنها هذا الجوّ كلّ الذي تنفتح فيه النفس، وتشعر بوجودها في إطار عام(بن نبي، 2006، ص106).

فالفرّد ابن بيئته فهي تزوّده بمختلف الخصائص الثقافية والاجتماعية التي تميّزها عن باقي المجتمعات، وعليه عالم الأشخاص "يمثل الرّصيد الثقافي الذي يزوّد الفرّد منذ ولادته، بالمقاييس الذاتية التي تحدّد سلوكه، وتؤكد انتسابه إلى ثقافة معيّنة"(بن نبي، 1984، ص62).

ويعتبر المفكر مالك بن نبي "الثقافة نفسها كهيئة مكونة من الألوان والأصوات والأشكال، والحركات والأشياء الملموسة والمناظر والصّور والأفكار المتفتّحة في كلّ اتجاه(بن نبي، 1991، ص80).

يتّضح من خلال تعريفات المفكر مالك بن نبي للثقافة: أنّه أعطى لها مفاهيم عملية أي تطبيقية يمارسها الفرّد وتظهر في سلوكه، إذن الثقافة تشمل الأخلاق والقيم الاجتماعية التي يكتسبها من بيئته الاجتماعية منذ ولادته وطوال مراحل حياته، فتشكّل شخصيته وطباعه وتكيفها مع مجتمعه. وحدّد لها عناصر عديدة: العادات، التقاليد، الأدواق، العواطف، الألوان، الأنغام، الأوزان، الحركات، والأشكال، والأصوات، والمناظر، والصّور والأفكار...إنّها تشمل جميع المظاهر التي تربط الإنسان ومحيطه. كما أنّ الثقافة تحفظ للفرّد طاقاته وقدراته وإبداعاته وتقويها بما يتماشى والاتجاه العام لثقافة مجتمعه.

ويتقاطع في تعريفه مع كلّ من:

تعريف تايلور للثقافة: الكلّ المركّب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفنّ والأخلاق والقانون والعرف وكلّ القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع. ويعرفها كلاكهوهن kluckhohn: كلّ أساليب الحياة التي أنتجها الإنسان خلال التاريخ الظاهرة والكامنة، الرّشيدة وغير الرّشيدة والتي توجد في وقت معيّن بوصفها موجّهات للسلوك. ويعرفها بيرستيد (Biersted) بأنها ذلك المركّب الذي يتألف من كلّ ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع. أي أنّ الثقافة تتألف من ثلاثة عناصر هي: الماديات، الأفكار، والسلوك.

ومما سبق من التعريفات نجد أنّ الثقافة تتكوّن من جانب لامادي وجانب مادي تعمل هذه المكونات على إضفاء على مجتمع ما خصائص تميّزه عن مجتمع آخر.

غير أنّ هناك عناصر خارجية مؤثرة في الثقافة وفي وظيفتها وفي استمراريتها، إذن ما هي هذه العناصر الخارجية المؤثرة في الثقافة؟ وما طبيعة دورها في الثقافة؟

2-1-2- دور التاريخ والتربية في الثقافة عند المفكر مالك بن نبي

ينظر المفكر مالك بن نبي إلى موضوع الثقافة من زاويتين:

- الزاوية التاريخية: الثقافة والتاريخ عنصران متلازمان متكاملان "لا يمكن لنا أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه"(بن نبي، 1984، ص76)، والثقافة وظيفياً متعلّقة بحضارة المجتمع أثناء دورتها فيشبه وظيفتها تغذية حضارته وهي "تحمل أفكار النخبة كما تحمل أفكار العامة، وبهذا تمنح الحضارة صفاتها الخاصة بمجتمع معيّن، كما أنّها تحدّد قطبي الحضارة العقلي والروحي"(خالد السّعد، 1997، ص112).

- الزاوية التربوية: حيث ينظر إليها المفكر مالك بن نبي بوصفها منهاجا للتربية يتيح إعادة بناء الشخصية لتسهم بفعالية في بناء الحضارة وهي من هذه الزاوية الرابطة الأخلاقية والجمالية والعقلية والتقنية التي تربط أفراد المجتمع، فإذا كانت الثقافة هي منهج تربوي كلي يتجزأ داخله العناصر الثقافية في أربعة عناصر: الأخلاق، الجمال، المنطق العملي والصناعة يقتضي أن يكون لكل عنصر منهج تربوي جزئي ضمن الخطة التربوية الكلية. واستنباطا من الآية الكريمة (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) سورة الأنفال، الآية 63.

فأساس كل ثقافة هو بالضرورة (تركيب) و(تأليف) لعالم الأشخاص، وهو تأليف يحدث طبقا لمنهج تربوي يأخذ صورة فلسفية أخلاقية. يؤسس مالك بن نبي تعريفه هذا للثقافة على تحليل العناصر الأساسية للعمل فكل عمل ثقافي يحتوي على المبدأ الأخلاقي، والدوق الجمالي، والمنطق العملي والصناعة، وهذه العناصر هي التي تحرك الإنسان باتجاه المجتمع بتحويله من فرد إلى شخص يسهم في انجاز شبكة العلاقات الاجتماعية (خالد السعد، 1997، ص112).

ويظهر من ذلك أثر الثقافة في المجتمع عند المفكر مالك بن نبي من خلال فعالية أفراد، ذلك أن صفة الإنسان في المجتمع المتحضر هي الفعالية الاجتماعية بينما في المجتمع الخارج عن الحضارة هي اللامفعالية، "إن الشيء الذي نريده من الثقافة هو أن تبسط بين الأفراد شبكة علاقات اجتماعية معينة تضمن للفرد عناية ورعاية المجتمع من جانب، ومن جانب آخر تضمن المجتمع من انحراف الفرد ونشوره" (بن نبي، 2006، ص108)، بمعنى أن الثقافة تبني نظام علاقات اجتماعية تحافظ على حقوق وواجبات الفرد والمجتمع معا، تقدم رعاية المجتمع للأفراد، وتضمن المجتمع من انحرافاتهم.

وبما أن للثقافة عناصر تؤثر فيها، فهي بدورها عنصر مؤثر في المجتمع، فما هي مؤثراتها ووظائفها؟

2-2 - وظائف الثقافة عند المفكر مالك بن نبي

حدّد المفكر مالك بن نبي الوظائف الأساسية للثقافة والمتمثلة في ما يلي:

- انسجام الأفراد مع المجتمع: يرى المفكر مالك بن نبي: "أن الثقافة تمنحنا انسجام الأفراد مع المجتمع، وبذلك يتكوّن المجتمع إذا لم يكن موجودا ويقوى وتتفك عنه أزمته إذا كان موجودا، فالتماسك شرط كتماسك البنيان المرصوص، كل مواد البناء فيه على درجة واحدة من التمدد والانقباض وإلا تعرض البناء إلى التفكك. والمجتمع كذلك بناء أفراد إذا كان فيه نشوز من جانب هؤلاء الأفراد فهذا معناه أن المجتمع معرض للتفكك. وهذا الانسجام لا يستطيع أن يقدمه العلم ولكن تقدمه الأخلاق. مستدلا بذلك بالحديث النبوي الشريف: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"... فالأخلاق وحدها تضمن وحدة المجتمع، وصيرورة المجتمع ووظيفة المجتمع. أي ما يتكفله المجتمع لكل فرد يعيش فيه من ضمانات وأمن، رعاية، تعليم، رعاية صحية... ولا يمكن لمجتمع أن يقوم بهذا كله أبدا على أساس العلم فقط.

الدين هو وحده الذي يؤسس مجتمعا، والعلم لا يستطيع تأسيس مجتمع... وبالمعنى الاجتماعي، فكل عقيدة تقدم للفرد المبررات الأساسية التي تحدد سلوكه وتطبع وظيفة المجتمع نحوه فهي عقيدة وهو دين،... إذن الشرط الأول الذي نطلبه من الثقافة ونفترضه، عليها أن تحقق الأساس الأخلاقي في المجتمع، لأن المجتمع لا يقوم على غير الأخلاق، لأن المعاملات الاجتماعية كلها، حتى معاملات الجوار العادي، لا تبنى إلا على الأخلاق" (بن نبي، 2006، ص ص109-110)

وعليه هذا التماسك والانسجام الذي تعطيه الثقافة للمجتمع أساسه الأخلاق، والأخلاق منبعها ومصدرها الدين الإسلامي في المجتمع الجزائري، وإذا اعتبرنا الأخلاق معاملات اجتماعية فهذه الأخيرة تقوم على العلاقات الاجتماعية.

- **تقديم قيما جمالية:** يرى أيضا المفكر مالك بن نبي "أنّ الثقافة تمنحنا قيما جمالية إذ المجتمع الذي تأسس وتكوّن وحدته، على ما نسميه المبدأ الأخلاقي يتطلب صورة ومظهرا. يتطلب تنظيمه الشكلي من حيث ملبسه، ومعايشه وترتيب أشياء بيته، الأشياء التي تتصل بالقيم الجمالية، لذا لابدّ للثقافة أن تمدنا بالدوق الجمالي وتنمي فينا هذا الدوق. المطلوب من الثقافة أن تكفل لنا هذا الجانب (الدوق الجمالي) لترتيب شؤون مجتمعنا، لأنّ التشوّز إذا كان يحدث في المستوى الأخلاقي فهو يحدث أيضا في المستوى الجمالي (بن نبي، 2006، ص ص 110-111).

إذن حسب المفكر مالك بن نبي أنّ الدوق الجمالي للمجتمع الجزائري يشكل المظهر المادي للثقافة، أي شكليات أشيائه ومنتجاته والتي بدورها تكون قيمه الجمالية. في حين أنّ القيم الأخلاقية حسية هي المعاملات والعلاقات الاجتماعية التي يضبطها الدين، بينما الشكل الذي تظهر فيه كسلوك فهو مرهون بالدوق الجمالي.

- **تحقيق الفعالية الاجتماعية:** يرى المفكر مالك بن نبي: "المجتمع الذي تحققت وحدته وتحقق شكله له حاجات ضرورية ويومية تتحقق بنشأة ما يسمى بالفعالية. هذه الأخيرة ما تسمى بالمنطق العملي، فالمنطق العملي هو تركيب الحركات حسب نتيجتها، والوقت الذي تستغرقه هذه الحركات هو المنطق العملي. والشعوب لها مقاييسها، لكنها لا تفقد المنطق العملي، لأنها تعلم أنّه إذا اختلّ المنطق العملي فهذا يؤدّي إلى العبث، ويعرض المجتمع إلى تضییع مصالحه. (بن نبي، 2006، صفحة 111) إذن فالمنطق العملي عنده هو تركيب الأفعال والحركات لتحقيق نتائج معينة مع مراعاة الوقت اللازم للإنجاز، بينما الفعالية الاجتماعية فهي المنطق العملي الذي يحقق الصالح العام ويمثّل العلاقات الاجتماعية.

- **تفعيل التقنية أو الصناعة أو العلم:** فمنذ أن قامت الإنسانية (بتقسيم العمل) أي منذ عشرة آلاف من السنوات أو أكثر أصبحت هناك تقنية موجودة... وتتكاتف هذه الجهود في أداء وظيفة واحدة هي أن يقوم المجتمع الذي يتكوّن على الأساس الأخلاقي ويتمتع بذوق جمالي، ويسلك المسالك التي يهيمن عليها المنطق العملي، ليسدّ حاجاته اليومية... (بن نبي، 2006، ص ص 111-112). إذن فالثقافة تفعل وتعزّز دور التقنية أو التكنولوجيا والإبداع في شتى مجالات الحياة بغية تلبية حاجات المجتمع الجزائري من وسائل وأدوات وآلات....

وبعد عرض وظائف الثقافة، يتبادر إلى أذهاننا السؤال الآتي: هل ينتج عن تراجع أو خلل في أداء هذه الوظائف إلى أزمة ثقافية؟ وما هي نتائجها الظاهرة؟.

3-2- الأزمة الثقافية

يربط المفكر مالك بن نبي الأزمة الثقافية بتحديد الوظيفة الاجتماعية للثقافة باعتبارها محتوى اجتماعيا ينظم سلوك الإنسان من خلال التربية المنهجية الأصلية المحرّرة للطاقات الحيوية التي كانت معطلة بفعل الضغط الاجتماعي، أو حينما يفقد الفرد حقه في النقد بفعل أسباب سياسية أو اجتماعية أو ثقافية. فالأزمة الثقافية والأزمة السياسية (السلطوية) كالأزمة واحدة (خليل والكيسي، 2001، ص 37).

وتنشأ الأزمة الثقافية أيضا من خلال تعدد تركيب العناصر الثقافية في منهج تربوي جاد وذلك بوصف هذه العناصر محققة جواً يمتص الفرد أثره بشكل تلقائي من ألوان وروائح وأفكار يتلقاها الفرد داخل المجتمع بوصفها صورا مألوفة لا يوصفها مفاهيم مجردة لا أثر لها (بن نبي، 1984، ص 90). فالاختلال الناتج عن عدم تحقيق الفعالية الاجتماعية للفرد في مجتمعه وعدم تحقيق توازن بين طاقاته وتنظيم سلوكه وبين الرقابة الاجتماعية وأسلوب حياة المجتمع ينشئ بروزا لأزمة ثقافية يتوجب معالجتها. كما أن الأزمة الثقافية تتولد إذا تم اعتبار العلم على أنه ثقافة (بن نبي، 2006، ص 112) لأن دور الثقافة أعم وأشمل من دور العلم، فالعلم يطور مجالات الحياة المادية بينما الثقافة تتكفل بتطوير كل مناحي الحياة الاجتماعية المعنوية والمادية. بمعنى أن الأزمة الثقافية تنتج في الحالات التالية:

- ✓ تحرر الطاقات الفردية المعطلة (المكبوحة) بسبب الضغط الاجتماعي؛
- ✓ فقدان الفرد حقه في النقد لأسباب سياسية أو اجتماعية أو ثقافية؛
- ✓ عدم وجود منهج تربوي جاد يشمل العناصر الثقافية للمجتمع الجزائري يمارسها الفرد عمليا؛
- ✓ عدم وجود توازن بين طاقات الفرد وسلوكه وبين الرقابة الاجتماعية وأسلوب حياة المجتمع؛
- ✓ المزج والخلط بين مفهوم العلم والثقافة ودوريهما.

وبيّن المفكر مالكن نبي معنى الأزمة الثقافية "أنه كلما عمل المجتمع واجبه في السهر على سلوك الأفراد بدعوى الحرية، أو أية دعوة أخرى- وزال الضغط الاجتماعي، انطلقت الطاقة الحيوية من قيودها، سواء أكانت هذه القيود مفروضة على أساس ديني أو أساس دستوري، فدمرت كل ما يقوم على تلك الأسس سواء كانت دينية أو علمانية، أي أنها تدمر كل البناء الاجتماعي.

فالأزمة الثقافية تنمو وتنمو معها أيضا نتائجها، من الحد الذي يمكن تداركه بالتعديل البسيط إلى الحد الذي يصبح فيه التعديل مستحيلا، أو لا يمكن إلا بثورة ثقافية عارمة تكون في الحقيقة بمثابة انطلاقة جديدة للحياة الاجتماعية من نقطة الصفر (بن نبي، 1984، ص ص 90-91).

ويشير أن هناك مستويات ودرجات في حدوث الأزمة الثقافية والتي يمكن من خلالها للمجتمع من تدارك الأخطاء وتعديل ظروفها وأسبابها من البساطة إلى الأكثر تعقيدا، أي إلى أقصى مدى لها أين لا يمكن عندها التعديل وبالتالي لابد من ثورة ثقافية شاملة ذات انطلاقة جديدة للحياة الاجتماعية.

وفي نفس السياق يؤكد أن المجتمعات التي تمرّ بالأزمات الثقافية تعيش إحدى الحالتين: إما استسلام للواقع أو إعطاء فرصة لدفعة جديدة لحركيتها أو ما يسمى بالثورة الثقافية. "وبين هاتين الحالتين، بين الاستسلام التام لـ(الواقع) وبين الثورة العنيفة على أي (واقع) لا يستساغ، درجات من الخنوع والتقوقع والهروب من المسؤولية، هي بالضبط درجات الأزمة الثقافية التي يتخبط فيها المجتمع. فأى إخفاق يسجله مجتمع في إحدى محاولاته إنما هو التعبير الصادق على درجة أزمته الثقافية" (بن نبي، 1984، ص 92).

وبطبيعة الحال يلي كل أزمة نتائج، وكذلك الحال بالنسبة للأزمة الثقافية نتائج أوجزها المفكر مالكن نبي في ما يلي:

- نتائج الأزمة الثقافية: "إن الأزمة الثقافية تكون في ذروتها بالنسبة إلى الفرد إذا ما قدرنا أنه حرم منذ البداية مما أسميناه (الجو) الثقافي.

فماذا يحصل للفرد في هذه الحالة، أي إذا عزل عن المجتمع عزلا كاملا، فلم تتكوّن لديه أية صلة اجتماعية، حتى صلة الكلام أي تبليغ الآخرين ما نريده بالصوت؟ (بن نبي، 1984، ص 92) إذن من نتائج الأزمة الثقافية على مستوى الفرد هو فقدان الجوّ الثقافي الذي يولد عزلة اجتماعية وبالتالي غياب العلاقات الاجتماعية.

"أما في مستوى المجتمع الذي يعيش أزمة ثقافية فإننا نستطيع حصر العديد من الملاحظات، ويكفي ذلك أن نرى بالعين المجردة ما يدور في حياته الاقتصادية والسياسية، ولكن تكفي ملاحظة واحدة لما فيها من العبرة. إننا لو وضعنا سلما للقيم الثقافية، جنبا إلى جنب مع السلم الاجتماعي، لقررنا مبدئيا أنّ السلمين يتجهان في الاتجاه نفسه من الأسفل إلى الأعلى، أي أنّ المراكز الاجتماعية تكون تلقائيا موزعة حسب الدرجات الثقافية.

وهذه حقيقة نمارسها في حياة كلّ مجتمع ولو كان يواجه بعض الأزمة الثقافية، على شرط أنها لم تبلغ درجة (اللا رجوع).

أما في المجتمع الذي بلغ هذه الدرجة فإنّ السلمين يعكسان، الواحد بالنسبة للآخر انعكاسا تصبح معه القاعدة الشعبية على الأقلّ بمحافظتها على الأخلاق أثرى ثقافيا من قيادتها.

وهذه فيما أعتقد أشنع صورة للأزمة الثقافية التي لا تحلّ بمجتمع ما إلا صيرته عاجزا عن حلّ مشكلاته داخل حدوده، وعن مواجهة مشكلات الجوار على حدوده، وبصورة أعمّ لا يستطيع التعايش دون عقد نفسية تعرض شخصيته للتلف أو كرامته للمهانة، بينما أصبح التعايش ضرورة حتمية في عالم تهيم فيه التكنولوجيا التي فرضت على كلّ مجتمع وجود الآخرين. (بن نبي، 1984، ص ص 93-94).

يتجلى أثر نتائج الأزمة الثقافية على مستوى المجتمع وذلك حسب درجتها من خلال أنّ سلم القيم الثقافية وسلم المراكز الاجتماعية يتجهان من الأسفل إلى الأعلى في اتجاه متوازي، بينما في درجة اللا رجوع في حدوث الأزمة الثقافية يكون الاتجاهين متعاكسين ويظهر لدى قاعدة السلم الاجتماعي (الطبقات الشعبية البسيطة) التمسك بالأخلاق أكثر من غيرها من الطبقات.

وعليه فلتجاوز الأزمة الثقافية يشترط إعداد مشروع ثقافي والذي لابدّ من ربطه بالمجتمع ومراعاة البيئة الاجتماعية ومستوى امتلاك هذا المجتمع لرصيد ثقافي فعال.

3- تحليل محتوى كتاب "مشكلة الثقافة"

يتمثل مجتمع البحث لهذه الدراسة في مجموعة كتب المفكر مالك بن نبي والتي ألفها طيلة مسار حياته؛ منها ما نشر في حياته، ومنها ما نشر بعد ذلك، وبغية فهم وتحليل مكانة الثقافة وتراكيبيها ووظيفتها، تمّ انتقاء كتاب (مشكلة الثقافة) كعينة مقصودة لهذه الدراسة، هذا الكتاب (نشر أول مرة بالفرنسية سنة 1959م)، يندرج ضمن سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عبد الصبور شاهين، عن دار الفكر الجزائر وسوريا، ط4، 1404هـ/1984م، يتكوّن من 152 صفحة من الحجم المتوسط، مقسّم إلى: الفصل الأول: تحليل نفسي للثقافة يشمل على عنوانين رئيسيين: أوليات-الثقافة وعلم الاجتماع. الفصل الثاني: تركيب نفسي للثقافة يشمل على العناوين الرئيسية التالية: تراكييب جزئية وتركيب عام- الحرفية في الثقافة- التوجيه الأخلاقي- الأزمة الثقافية. الفصل الثالث: تعايش الثقافات- الفصل الرابع: الثقافة في اتجاه العالمية- الفصل الخامس: ما ضد الثقافة-L'anti culture وفي الأخير خاتمة.

وقد وظّفنا هذا الكتاب في توضيح مفهوم الثقافة عند المفكر مالك بن نبي ومركباتها، وعلاقتها بمفاهيم ذات الصلة كالتربية والتاريخ والإنسان.....

المنهج المتبع والأدوات المستعملة:

وظفت الدراسة منهج تحليل المحتوى في جمع وعرض وتحليل البيانات المأخوذة من كتاب مشكلة الثقافة وربطها بغيرها من المعطيات التي وظفها بن نبي، ويعرّف تحليل المحتوى بحسب الطائي وأبو بكر: "بأنه منهج علمي يهدف إلى الوصف الموضوعي المنهجي المنتظم لمضامين وسائل الاتصال الجماهيري" (الجمال، ب.ت، ص 220). وتمّ توظيفه من خلال إتباع الخطوات التالية:

• تحديد مشكلة البحث وهي: هل قدّم المفكر مالك بن نبي مقاربة سوسيوثقافية للمجتمع الجزائري من خلال مؤلفاته؟

• وضع فرضيات الدراسة والمتمثلة في:

- يعتبر المفكر مالك بن نبي أنّ لثقافة المجتمع الجزائري عوامل مؤثرة في استمراريتها.
- تعدّ المركبات الجزئية (الأخلاق، الجمال، المنطق العملي والتوجيه الفئّي) إطارا للثقافة في المجتمع الجزائري.

• وضع فئات التحليل: وجاءت في شكل مفردات معيّنة هي: الثقافة، عوامل الثقافة، مركبات الثقافة. بناء التحليل: جاء في شكل استمارة سجّلت فيها تكرارات وحدات التحليل: الإنسان، الأفكار، الفعالية، التاريخ، التربية، الأخلاق، الجمال، المنطق العملي، العلم. وفيها يتمّ حصرها وتحليلها كمّيًا ونوعيًا حسب هدف هذه الدراسة في الكشف عن مقاربة مالك بن نبي السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري.

• اختيار عيّنة المحتوى: والتي جاءت في كتاب مشكلة الثقافة يحوي على خمسة فصول.

• جمع البيانات وتحليلها: بتدوين البيانات المتمثلة في وحدات التحليل: الإنسان، الأفكار، الفعالية، التاريخ، التربية، الأخلاق، الجمال، المنطق العملي، العلم. ومعالجتها إحصائيًا في شكل نسب مئوية وتفسيرها وتحليلها ومقارنتها.

قمنا بتحديد المفاهيم الأساسية في فكر المفكر مالك بن نبي والمرتبطة بفرضيات الدراسة أي المتعلقة بالثقافة كالفهم الثقافي، العوامل المؤثرة في الثقافة وأيضًا المركبات الأربعة للثقافة، وهذه المفاهيم تمثل فئات التحليل، وقمنا بعدها باستخراج وحدات التحليل لكل فئة من هذه الفئات ثمّ حسبنا تكرار كلّ وحدة موزعة في ثلاث جداول مقدّمين في كلّ مرّة القراءة السوسيوولوجية من تحليل وتركيب ومن ثمّة الاستنتاج.

جدول رقم 1: مكانة الإنسان في الثقافة

فئة الموضوع: علاقة الإنسان بالثقافة			
رقم الوحدة	المفهوم	التكرار	النسبة (%)
1	الثقافة	469	81.71
2	الإنسان	105	18.29
المجموع		574	100

يتضح من بيانات هذا الجدول الذي يبين مكانة الإنسان في الثقافة، أنّ أعلى نسبة مسجلة لمفهوم الثقافة 81,71% حسب ما تبيّنه وحدة التحليل رقم 1، بينما بلغت نسبة مفهوم الإنسان 18,29% مثلاً هو مبيّن في وحدة التحليل رقم 2.

- يرى المفكر مالكن بن نبي أنّ الإنسان - في الوقت الحالي- يؤثر في المجتمع بثلاث مؤثرات: بفكره، بعمله، بماله. والإنسان صانع للثقافة بما يضيفه من أفكار أو إنتاجات أو إبداعات أو سلوكيات إلى الرصيد الثقافي الذي اكتسبه من مجتمعه والتي تتوافق مع ثقافته من أخلاقيات وجماليات، وبمرور الزمن وكلما كان تقبل وإقبال عليها من طرف أفراد المجتمع تندمج في ثقافة المجتمع.

كما يؤكد المفكر مالكن بن نبي على مكانة الإنسان في الثقافة باعتباره حاملاً للثقافة وهو المكوّن لعالم الأشخاص الذين يحملون السمات الثقافية لمجتمع ما والتي تميّزه عن المجتمعات الأخرى وإذن فلكي نستحدث تركيب العناصر الثقافية ينبغي أولاً أن يتحقق شرط جوهري هو أن نخلق وأن نوثق الصلة الضرورية بين الفرد وبين العوالم الأربعة (عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، عالم العناصر والظواهر الطبيعية) التي أحصيناها، ولعالم الأشخاص حقّ التّقدم والسّبق لا من أجل امتياز شخص الإنسان فحسب، بل لأنّه يمثل الرّصيد الثقافي الذي يزود الفرد منذ ولادته، بالمقاييس الذاتية التي تحدّد سلوكه، وتؤكد انتسابه إلى ثقافة معيّنة. فالشرط الأول العام لتحقيق مشروع ثقافة هو الصلة بين الأشخاص أولاً (بن نبي، 1984، ص 62).

يعتبر الإنسان في فكر المفكر مالكن بن نبي محور العمليّة الثقافيّة بل مصدرها باعتباره حاملاً للأفكار ومنتجاً للسلوك، كما يمثل الرّصيد الثقافي الذي ينقل الثقافة من جيل إلى آخر، وتكمن القيمة الثقافيّة في صلة الإنسان بالعوالم الأربعة (عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، عالم الظواهر الطبيعيّة).

ولتحقيق مشروع ثقافة يستوجب توثيق وتمتين الصلة واللحمة الاجتماعيّة بين الأشخاص فالشرط الأول العام لتحقيق مشروع ثقافة هو إذن الصلة بين الأشخاص أولاً، فأساس كلّ ثقافة هو بالضرورة (تركيب) و(تأليف) لعالم الأشخاص، وهو تأليف يحدث طبقاً لمنهج تربوي. وعليه فكّما انقطعت صلة الفرد بالمجال الذي يعيش فيه اتّجه إلى الهلاك، بمعنى أن انقطاع علاقة الإنسان عن المحيط المادي يموت جسدياً، وكذلك إذا ما انقطعت علاقته بمحيطه (الجو) الثقافي فيتلاشى ويموت ثقافياً، إذن حسب المفكر بن نبي هناك نوعان من الموت: موت مادي وموت ثقافي وهذا ما يشير إليه كما يلي "الفرد إذا ما فقد صلته بالمجال الحيويّ قرّرنا أنّه مات موتاً مادياً، وكذلك الأمر إذا فقد صلته بالمجال الثقافي فإبّه يموت موتاً ثقافياً" (بن نبي، 1984، ص 50).

ومفهوم الثقافة عند المفكر مالكن بن نبي لا يشمل الأفكار لوحدها بل يتعدّها إلى أسلوب الحياة الاجتماعيّة فيوضّح أنّ "الثقافة لا تضمّ في مفهومها الأفكار فحسب، وإنّما تضمّ أشياء أعمّ من ذلك تخصّ أسلوب الحياة في مجتمع معيّن من ناحية، كما تخصّ السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرّفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى (بن نبي، 1984، ص 13). إذن للثقافة عند المفكر مالك بن نبي مظهران هما: مظهر عام نجده في أسلوب الحياة العام للمجتمع، ومظهر خاص يتمثّل في السلوك الاجتماعي للأفراد، وهذا ما يؤكّد وجود علاقة متبادلة تحدّد وتضبط السلوك الاجتماعي للفرد وأسلوب الحياة في المجتمع "تعدّد وجوه الثقافة لا يساعدنا في تعريفها على أنّها(شيء)، بل على أنّها علاقة متبادلة، هي العلاقة التي تحدّد السلوك الاجتماعي لدى الفرد

بأسلوب الحياة في المجتمع، كما تحدّد أسلوب الحياة بسلوك الفرد" (بن نبي، 1984، ص43)، وهذه هي وظيفة الثقافة في المجتمع عند المفكر مالك بن نبي.

جدول رقم 3: العوامل المؤثرة في الثقافة

علاقة الأفكار، التاريخ، الفاعلية والتربية في الثقافة			
رقم الوحدة	المفهوم	التكرار	النسبة (%)
1	الثقافة	469	56.10
3	الأفكار	233	27.87
4	التاريخ	81	9.69
5	الفاعلية	29	3.47
6	التربية	24	2.87
المجموع		836	100

يتبيّن لنا من بيانات هذا الجدول المتعلق بالعوامل المؤثرة في الثقافة أنّ الثقافة جاءت بنسبة 56.10% وهذا ما تشير إليه وحدة التحليل رقم 1، بينما الأفكار جاءت بنسبة 27,87% وهذا ما تشير إليه وحدة التحليل رقم 3، يليها مفهوم التاريخ بنسبة 9,69% وهو ما تشير إليه وحدة التحليل رقم 4، أمّا نسبة مفهوم الفاعلية فكانت 3,47% وهو ما تشير إليه كذلك وحدة التحليل رقم 5، وأخيرا مفهوم التربية بلغت 2,87% وهو أيضا ما تشير إليه وحدة التحليل رقم 6.

تظهر أهمية العوامل المؤثرة في الثقافة من خلال ترتيبها من أعلى نسبة إلى أدناها حيث يأتي في الدرجة الأولى الأفكار كعامل أكثر تأثيرا يليها مباشرة التاريخ، بينما الفاعلية فهو ثالث عامل مؤثر، وأخيرا التربية كعامل أقل تأثيرا.

للأفكار أهمية كبرى في المسألة الثقافية عند المفكر مالك بن نبي بل في دورة حياة المجتمع ومراحل تطوره، فمختلف هذه المراحل هي انعكاس لحركة تطوره الفكري، ونهضة المجتمع هي مرحلة يتمّ فيها بنظام قويّ وفعال من الأفكار، بل هذا النظام يسمح أيضا بإيجاد حلول مناسبة العقبات والمشكلات التي تعترض تطوره" إنّ تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل فوضاه وخموده وركوده، كلّ هذه الأمور ذات علاقة وظيفيّة بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع، فإذا ما تغيّر هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإنّ جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدّل في الاتجاه نفسه" (بن نبي، 1984، ص13).

لقد أولى المفكر مالك بن نبي عملية تنظيم الأفكار في المجتمع أهمية كبيرة وأساسية. فهي إمّا أن تكون سببا في تقدّمه، أو تكون ذات وظيفة أخرى تؤدّي به إلى الرّكود والفوضى والتخلف.

وتنقسم حياة المجتمع عند المفكر مالك بن نبي إلى نوعين: حياة مادية (تتمثّل في أشياء ومنتجات الثقافة) وحياة عقلية (تشمل الأديان والأفكار الاجتماعية والمعتقدات والقيم والأذواق والألوان الجمالية والعادات والتقاليد والأخلاق...) وفي هذا السياق يرى المفكر مالك بن نبي أنّ ثقافة مرتبطة بحياة مجتمعه، لأنّ الواقع المادي هو انعكاس للواقع المعنوي، لأنّ هذا الأخير ساهم في تحسين الحياة المادية بما أنتجه الإنسان من إبداع فكري (معنوي) ومادي (ملموس) "إنّ حياة

المجتمع المادية هي واقع موضوعي ومستقل عن إرادة الناس، أما حياة المجتمع العقلية culture أي مجموعة الأفكار الاجتماعية والنظريات والأديان ونظريات علم الجمال والمذاهب الفلسفية فهي كلها انعكاس هذا الواقع الموضوعي "(بن نبي، 1984، ص32).

ولا يتأتى دور الأفكار في الثقافة إلا بربط أجزائها بأجزاء أشياء ذلك المجتمع على أن تكون هذه الأفكار منسجمة ومتراكبة ومتداخلة ومتكاملة مع منتجاتها أو أشياء ثقافة هذا المجتمع "إذا ما اتجهنا إلى المجال الاجتماعي وجدنا أن الأفكار والأشياء لا يمكن أن تتحول إلى عناصر ثقافية إلا إذا تألفت أجزاؤها فأصبحت تركيبا فليس للشيء المنعزل أو الفكرة المنعزلة معنى أبدا (بن نبي، 1984، ص64).

ويظهر ذلك في المجتمع الجزائري في مختلف مجالات الحياة وأبرز مثال في المجال العمراني نجد أن النمط المعماري في المدن أوفي المناطق الريفية يدل على وجود خلفية ثقافية لفئة اجتماعية معينة تقطن بهذه المساكن أو الأحياء مثل النمط الإسلامي أو العثماني أو العصري ...، وحتى في الوسائل اليومية كالأدوات والأثاث والمستلزمات مرتبطة بثقافة أهل المنطقة، وهذا أيضا يكون في مجال التجارة، والفلاحة والحرف... أي أن الأفكار تولد وتنتج أشياء الثقافة، هذه الأخيرة تصبح مرآة عاكسة للثقافة المقصودة.

ومما سبق نجد أن معالم عالم الأفكار وعالم الأشياء لثقافة ما ونخص بالذكر ثقافة المجتمع الجزائري تظهر في أسلوب الحياة الاجتماعية وسلوك الفرد فيها كطريقة العيش والمأكل والملبس والسكن والتأثيث وطرق وطقوس الاحتفال بالمناسبات الدينية والمناسبات السعيدة كالأعراس والختان وإقامة الزردات والوعدات وفي إقامة الجنازات.... وكذا المناسبات الوطنية...

يبرز المفكر مالك بن نبي قيمة وأهمية الأفكار في المجتمع ويؤكد على أن تكون مرتبطة بشروط نفسية واجتماعية تتماشى مع الزمن والمكان الذين تستعمل فيهما هذه الأفكار، وهذا ما يضيف على الأفكار فعاليتها أي كلما كانت لهذه الأفكار دور اجتماعي وتأثير في الحياة الاجتماعية، تبقى فاعلة في مجتمعها، وإذا تقلص وتراجع دورها وتأثيرها تتلاشى فعاليتها إلى أن يتم الاستغناء عنها تماما واستبدالها بأفكار جديدة فعالة "إن النشاط الاجتماعي والثقافي لفكرة ما، مرتبط في الواقع ببعض الشروط النفسية الاجتماعية التي بدونها تفقد الفكرة فاعليتها... إذن ففاعلية الفكرة هي رهن بشروط نفسية واجتماعية تتنوع بتنوع الزمان والمكان... الخ إننا إذا ما عرّفنا تاريخ مجتمع معين، فسنجد أنه كما أن لديه مقبرة يستودعها موتاه، فإن لديه مقبرة يستودعها أفكاره الميئة، الأفكار التي لم يعد لها دور اجتماعي. فالفكرة من حيث كونها فكرة ليست مصدرا للثقافة، أعني عنصرا صالحا لتحديد سلوك ونمط معين من أنماط الحياة، فإن فاعليتها ذات علاقة وظيفية بطبيعة علاقتها بمجموع الشروط النفسية الزمنية، التي ينطبع بها مستوى الحضارة في المجتمع" (بن نبي، 1984، ص ص 46-47).

"إن الفاعلية الاجتماعية تعتمد بصفة عامة على أسلوب الحياة في مجتمع معين، وعلى السلوك الذي ينتهجه الفرد كما ينسجم مع هذا الأسلوب، وعليه إذا ما مضينا لمواجهة مشكلة الثقافة، وجدنا أنفسنا نواجه ضمنا مشكلة أسلوب الحياة ومشكلة السلوك الذي ينسجم معها" (بن نبي، 1984، ص42).

تظهر الفاعلية الاجتماعية جليا من خلال نمط الحياة الاجتماعية من جهة ومن خلال سلوك الفرد في الحياة الاجتماعية من جهة أخرى، وتبرز أهمية الأفكار عند المفكر مالك بن نبي إلى مدى فعاليتها بصفاتها منبعا للثقافة، مادامت محتواة في الشروط النفسية والاجتماعية ولا تزال تحافظ على صلتها الدائمة بها، فالتاريخ كقيل بتجميع الأفكار غير الفعالة، وسحبها من الحياة الثقافية

للمجتمع. ويظهر هذا جلياً على سبيل المثال في بعض العادات التي تزيد من الأعباء المادية للأسرة الجزائرية حالياً كتقليص أيام الاحتفال بالأعراس وبعض مظاهره كحمام العروس، تقديم الهدايا لأهل العروس، والطقوس المتعلقة مثلاً بجني المحصول وحتى انحصار بعض منتوجات الحرف اليدوية بسبب استعمال بدائل لها تصنع بأقل تكلفة وبأقصر مدة...

تطرق المفكر مالكن بن نبي للتاريخ كعامل مؤثر في الثقافة، وحدد شروطاً لفهمها وهي ضرورة إرجاعها إلى السياق التاريخي وضرورة اتخاذها نظاماً تربوياً تطبيقياً موضحاً ذلك كما يلي: "إن من أوليات واجبتنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي، ولذلك يجب أن نحددها عاملاً تاريخياً لكي نفهمها، ثم نظاماً تربوياً تطبيقياً لنشرها بين طبقات المجتمع" (بن نبي، 1984، ص76).

وأما "التاريخ" فصنّفه المفكر مالكن بن نبي كعامل مؤثر في الثقافة، موضحاً وجود المجتمع مرهون بوجود الثقافة، ووجود الثقافة مرهون بحركة التاريخ، حيث أنه لا يمكن تصوّر تاريخ مجتمع ما بلا ثقافة، فمركبات التاريخ هي الثقافة والحضارة "لا يمكن لنا أن نتصور تاريخاً بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتماً تاريخه. والثقافة بما تتضمنه من فكرة دينية انتظمت الملحمة الإنسانية في جميع أدوارها من لدن آدم- لا يسوغ أن تعدّ علماً يتعلمه الإنسان، بل هي محيط يحيط به وإطار يتحرك داخله، فهو يغذي جنين الحضارة في أحشائه، إنها الوسط الذي تتكوّن فيه جميع خصائص المجتمع المتحضّر، وهي الوسط الذي تتشكل فيه كلّ جزئية من جزئياته تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، بمن في ذلك الحداد والفنان والراعي والعالم والإمام، وهكذا يتركّب التاريخ" (بن نبي، 1984، ص77).

بينما "التربية" عند المفكر مالك بن نبي يعتبرها عاملاً آخر مؤثر في الثقافة، هذه الأخيرة تجمع وتوحد فئات المجتمع في إطار حياة واحدة، وتتدخل في شؤون الأفراد وفي بناء المجتمع، كما أنها تغذي حضارة المجتمع، والثقافة تحتاج إلى برنامج تربوي يضمّ فيه استعدادات واتجاهات وأذواق العامة المشتركة في شكل أفكار منظمة وموجّهة داخل هذا البرنامج التربوي "الثقافة تشتمل في معناها العام على إطار حياة واحدة يجمع بين راعي الغنم والعالم جمعاً توحد معه بينهما مقتضيات مشتركة، وهي تهتمّ في معناها بكلّ طبقة من طبقات المجتمع فيما يناسبها من وظيفة تقوم بها، وما لهذه الوظيفة من شروط خاصة؛ وعلى ذلك فإنّ الثقافة تتدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة (القيادة) كما تعالج مشكلة الجماهير... الخ هي ذلك الدّم في جسم المجتمع يغذي حضارته، ويحمل أفكار (الصفوة) كما يحمل أفكار (العامة)، وكلّ من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة، والاتجاهات الموحدة، والأذواق المناسبة. وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي" (بن نبي، 1984، ص ص 77-78).

يحدّد المفكر مالك بن نبي مشكلة الثقافة أنها مواجهة لمشكلة أسلوب الحياة ومشكلة سلوك الأفراد الذي يحظى بانسجامه في أسلوب الحياة الاجتماعية، وتكمن مشكلة الثقافة عنده من الناحية التربوية في مشكلة توجيه الأفكار والذي يعني أساس قويّ وسير متوافق (مراحل متتالية ومضبوطة) وهدف مشترك للطاقت في شكل تكتلات، لأنّ في التكتل قوة، فضعف التوجيه يضيع الطاقات المبدعة والمنتجة، ويجدر بالمجتمع الجزائري ليخرج من أزمتة الثقافية بتنظيم الطاقات في تكتلات عن طريق توجيه أفكارها التي تعمل على أداء مهام اجتماعية، وهذا ما نلمسه في تكتل نقابات العمال في قطاعات مختلفة كقطاع الصحة، التربية، التكوين، الصناعة، الفلاحة، المواصلات، الاتصال،...

وركز المفكر مالك بن نبي على "التربية" لأنه الوعاء الذي يحوي الثقافة لكونها عامل توجيه للأفكار ذلك أن أساس التربية هو التوجيه، حيث أنه يمدّ الأفكار بالقوة والتوافق وتوحيد الأهداف، وأي خلل في توجيه الأفكار يولد مشكلة ثقافية "مشكلة الثقافة من الوجهة التربوية هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار، ولذلك كان علينا أن نحدّد المعنى العام لفكرة التوجيه، فهو بصفة عامة قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف؛ فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حين زحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه، متجهة إلى الهدف نفسه.

فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت، فهناك ملايين السّواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كلّ وقت؛ والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكوّن من ملايين السّواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية... وليس يكفي مطلقاً أن ننتج أفكاراً، بل يجب أن نوجّهها طبقاً لمهمّتها الاجتماعية المتّحدة التي نريد تحقيقها(بن نبي، 1984، ص 67).

لابدّ أن الثقافة عند المفكر مالك بن نبي أن تجمع بين المحدّد التاريخي والبرنامج التربوي حتى يتسنى فهمها وتطبيقها في المجتمع. فبالنسبة له لا تاريخ بلا ثقافة، ومجتمع ضاع تاريخه هو مجتمع أضاع ثقافته، والانطلاقة التاريخية لمجتمع ما مرتبطة بفكرة دينية سمحت له بإقلاعه الحضاري كما يرى أنّ البرنامج التربوي في ثقافة ما لا بدّ أن يجمع الاستعدادات المتشابهة ويوحّد الاتجاهات النفسية الاجتماعية وينظم الأذواق بطريقة مناسبة، لكلّ فئات وطبقات المجتمع دون إقصاء، وفق كلّ وظيفة تمتنعها فئات هذه الطبقات ووفق الشّروط الخاصّة بكلّ وظيفة. بعد عرض العوامل المؤثرة في الثقافة عند المفكر مالك بن نبي، فما هي مركّبات الثقافة عنده؟

جدول رقم 3: مركّبات الثقافة عند المفكر مالك بن نبي

دور العلم، الجمال، الأخلاق والمنطق العملي في الثقافة			
رقم الوحدة	المفهوم	التكرار	النسبة (%)
7	العلم	79	42.70
8	الجمال	47	25.41
9	الأخلاق	44	23.78
10	المنطق العملي	15	08.11
المجموع		185	100

نستقرئ من بيانات هذا الجدول الذي يوضّح لنا مركّبات الثقافة عند المفكر مالك بن نبي، أنّ أعلى نسبة جاءت لمفهوم العلم (التوجيه الفني أو الصنّاعة) مقدّرة بـ 42,70% وهذا ما تشير إليه وحدة التحليل رقم 7، وتتنخفض هذه النسبة إلى 25,41% لدى مفهوم "الجمال" وهو ما تبيّنه وحدة التحليل رقم 8، غير أنّ مفهوم الأخلاق عرف نسبة 23,78% وهو ما توضّحه وحدة التحليل رقم 9، وأخير النسبة 08,11% لمفهوم المنطق العملي وهو ما تحدّده وحدة التحليل رقم 10.

يعكس ترتيب نسب هذه المركبات مدى تأثيرها في الحياة الثقافية للمجتمع، إذ نجد في المرتبة الأولى العلم (ويسميه أيضا التوجيه الفني أو الصناعة)، يليه الجمال في المرتبة الثانية، وتأتي في المرتبة الثالثة الأخلاق، وفي المرتبة الرابعة المنطق العملي.

ذكر المفكر مالك بن نبي أن الثقافة هي مفهوم يتكوّن من أربعة عناصر مترابطة فيما بينها تحمل في دلالتها معنى الثقافة وهي: الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة، "والثقافة هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي: الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة" (بن نبي، 1984، ص 67).

وهذه المركبات الجزئية تمارس على الفرد تأثيرها ضمن برنامج تربوي في شكل توجيه، ويوضّحه بن نبي كما يلي:

- العلم أو التوجيه الفني أو الصناعة:

يشير المفكر مالك بن نبي أن كلّ الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة، ويشترط المفكر مالك بن نبي مجلسا للتوجيه الفني الذي يتيح للأفراد التكوين والتوجيه والمتابعة للوصول إلى تحسين وتطوير هذا الفن وتوفير منتوجاته للمجتمع "والصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده ولكلّها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، وعليه فيجب أن نلاحظ في كلّ فن هاذين الاعتبارين. وإنا لنرى في هذا الباب ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني، ليحلّ نظريًا وعمليًا المشكلة الخطيرة للتربية المهنية تبعًا لحاجات البلاد" (بن نبي، 1984، ص 88).

- التوجيه الجمالي:

"فلكلّ ثقافة وجودها الخاص، الذي تزداد معه قدرتها على التمييز كلما تغيّر المستوى الاجتماعي لجانبها الموازنة" (بن نبي، 1984، ص 52).

يولي المفكر مالك بن نبي للجمال أهمية وقيمة اجتماعية، فالجماليات منبع الأفكار وهي الشكل النهائي الذي تظهر فيه سلوكيات الأفراد في أي مجتمع، أو أعمال ومنتجات الأشياء التي تمّ صنعها "فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات. ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية كبيرة، إذا ما عدّناه المنبع الذي تصدر عنه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع.

والواقع أن أزهد الأعمال له صلة كبرى بالجمال. فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال أو تنضح بالقبح، ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان وفي عمله، وفي السياسة التي يرسمها لنفسه" (بن نبي، 1984، ص 82).

إذا كان التوجيه الخلقي متعلق بالأساس المعنوي الموضوعي للسلوكات والأعمال فإنّ التوجيه الجمالي متعلق بشكليّات والمظاهر الخارجية التي تنتهي وتظهر فيه هذه السلوكات والأعمال للعيان. كما أنّ المقاييس الذاتية في الحكم على السلوكات بالجمال والقبح هي التي تحدّد أسلوب الحياة الاجتماعية في مجتمع ما وتعطي تميزا خاصا بين المجتمعات من حيث فاعليّتها الاجتماعية بمعنى تحدّد خاصية ثقافة المجتمعات، لأنها معايير مختلفة في ما بينها ولهذا نجد تمايز الثقافات من خلال الرقعة الجغرافية والحدود. إضافة أن هذه المقاييس تسمح باتخاذ موقف معيّن اتجاه مشكلات تعترض حياة الأفراد قبل التفكير في إيجاد حلول لها، إذن المقاييس الذاتية تؤثر كذلك في مدى الفاعلية الاجتماعية لدور العقل في تحديد وتحليل وحل المشكلات من مجتمع لآخر.

ويوضح المفكر مالك بن نبي ذلك "إنّ مقاييسنا الذاتية التي تتمثل في قولنا (هذا جميل) و(ذاك قبيح)، أو (هذا خير) و(ذلك شر)، هذه المقاييس هي التي تحدّد سلوكنا الاجتماعي في عمومها، كما تحدّد موقفنا أمام المشكلات قبل أن نتدخل عقولنا، إنها تحدّد دور العقل ذاته إلى درجة معينة، وهي مع ذلك درجة كافية تسمح لنا بتمييز فاعليّته الاجتماعية في مجتمع معيّن بالنسبة إلى مجتمع آخر (بن نبي، 1984، ص ص 53-54).

لكلّ حضارة ثقافة ولكلّ ثقافة محيط ولكلّ محيط إطار جمالي خاصّ، والإطار الجمالي تظهر فيه الأعمال الشخصية والإدارية والمهنية للأفراد والمنظمات "إنّ فكرة المحيط تدخل في كلّ عمل فردي أو إداري في وسط متحضّر، ولكنّها تدخل ضمنا فقط لا على وجه التحديد، الذي نريد القيام به هنا حين نتحدّث عن أحد مقوّمات الثقافة وهو: الجمال. والإطار الحضاري بكلّ محتوياته متصل بذوق الجمال، بل إنّ الجمال هو الإطار الذي تتكوّن فيه آية حضارة... إنّ الجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا، ونفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالاحترام نفسه" (بن نبي، 1984، ص 85).

وما ركّز عليه المفكر مالك بن نبي أنّ المجتمع الجزائري أصبح يفقد ذوق الجمال في محيطه وثقافته، الذي يمكننا إحالته إلى ضعف تفعيله، فيتوظيف الجمال في حياة الشخص يستطيع حلّ مشكلات ولو بسيطة في حياته، وتحفظ له الكرامة والاحترام...، فمعايير النظافة والإتقان والتعاون... تحمل في شكلها مظاهرا جمالية وآثارا اجتماعية "ولعلّ من الواضح لكلّ إنسان أننا أصبحنا اليوم نفقد ذوق الجمال، ولو أنّه كان موجودا في ثقافتنا، إذن لسخرناه لحلّ مشكلات جزئية، تكون في مجموعها جانبا من حياة الإنسان" (بن نبي، 1984، ص 82).

1 التوجيه الأخلاقي:

يعيش الأفراد في المجتمع بدافع غريزة العيش في جماعة والتي تستعمل في تكوين الحضارة، وقوة تماسكهم تكوّن وحدتهم التاريخية، فهذه الغريزة يخضعها المجتمع للأخلاق الفاضلة "تحدّد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في (جماعة) عند الفرد، ارتباطا يتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة والأمة... أمّا المجتمع الذي يتجمّع لتكوين حضارة فإّنه يستخدم الغريزة نفسها، ولكنّه يهديها ويوظفها بروح خلقي سام" (بن نبي، 1984، ص 79).

والأساس الخلقي في المجتمعات يكون منبعه الأديان والشرائع، وكلّ منتجات العلوم والصناعات يستوجب وجود صلات اجتماعية بين العلماء والمكتشفين والصّانعين التي تعتبر بمثابة الأساس الخلقي الذي تقوم عليه المدنية في ميدان العلم والفن، وكمثال على ذلك نجد أخلاق المدينة الغربية منبعها الديانة المسيحية التي جمعت مجهودات علمائها بصلات اجتماعية لتقديم منتجات واختراعات، وعليه فالتوجيه الأخلاقي هو أساس قيام المدنية الغربية.

"إنّ أكبر مصادر خطئنا في تقدير المدنية الغربية أن ننظر إلى منتجاتها أنّها نتيجة علوم وفنون وصناعات وننسى أنّ هذه العلوم والفنون والصناعات ما كان لها أن توجد لولا صلات اجتماعية خاصّة لا تُتصور هذه الصناعات والفنون بدونها فهي الأساس الخلقي الذي قام عليه صرح المدنية الغربية في علومه وفنونه، بحيث لو ألغينا ذلك الأساس لصار الإلغاء على جميع ما نشاهده اليوم من علوم وفنون" (بن نبي، 1984، ص 80).

- المنطق العملي:

يعني المفكر مالك بن نبي بالمنطق العملي هو إيجاد طرق عديدة لاستخراج الفائدة القصوى ممّا هو متاح من الوسائل، ويمثل الجسر بين الوسيلة والهدف من وجود الوسيلة، وبيّنه بن نبي على أنّه "كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده، وذلك حتّى لا نستسهل أو نستصعب شيئاً دون مقياس، يستمدّ معاييرهِ من الوسط الاجتماعي وما يشتمل من إمكانيّات... غير أنّه من النادر جدّاً أن يعرف المنطق العملي، أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معيّنة" (بن نبي، 1984، ص85).

يربط المفكر مالك بن نبي المنطق العملي بالأهداف المرجوة والوسائل المتاحة لتحقيق تلك الأهداف، إذن فهو موازنة بينهما أو ما يشار إليه بمفهوم التخطيط.

وإذا انعدم المنطق العملي في المجتمع برزت اللافعالية في السلوكات والأعمال، فتصبح الأعمال تحكمها العيبية والعشوائية والفوضى، فكلّ نشاط من ورائه هدف وكلّ هدف يتحقّق بواسطة وسائل مسخّرة، وعليه يمكن اعتبار غياب المنطق العملي خلل يمسّ السياسة والثقافة وعالم الأفكار "إنّنا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافعالية في أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث وفي المحاولات الهائلة. وإذا ما أردنا حصرها لهذه القضية فإنّنا نرى سببها الأصيل في افتقارنا الضابط الذي يربط بين الأشياء ووسائلها وبين الأشياء وأهدافها فسياستنا تجهل وسائلها، وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا، وفكرتنا لا تعرف التحقيق، وإنّ ذلك كله ليتكرّر في كلّ عمل نعمله وفي كلّ خطوة نخطوها (بن نبي، 1984، ص87).

والغائب في المجتمع الجزائري هو منطق العمل، أي تجسيد الفكرة في الميدان، لأنّ غالبية أفرادهم يستغلون تفكيرهم في الكلام أكثر من العمل والحركة، ويتضايقون ممّن هم أكثر منهم منطقاً في تفكيرهم أو كلامهم أو أعمالهم "إنّ الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة، ولكن منطق العمل والحركة وهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاماً مجرداً، بل إنّ أكثر من ذلك ييغض أولئك الذين يفكرون تفكيراً مؤثراً، ويقولون كلاماً منطقياً من شأنه أن يتحوّل في الحال إلى عمل ونشاط... (بن نبي، 1984، ص ص87 - 88).

وحوصلة لما سبق حول مركبات الثقافة نجد أنّ المفكر مالك بن نبي قسّم الثقافة إلى أربع مركبات (تراكيب جزئية) تحمل صفة خاصية التوجيه وهي: التوجيه الأخلاقي، التوجيه الجمالي، المنطق العملي والتوجيه الفني. ويقصد بها: أولاً قوّة التماسك الاجتماعي الذي تزرعه الثقافة بين أفراد المجتمع والذي يمثل التوجيه الأخلاقي، ثانياً ما يتصل بنوع الجمال والذي يمثل التوجيه الجمالي، ثالثاً: الاستغلال الأقصى لوسائل الإنتاج والذي يمثل المنطق العملي، وأخيراً ممارسة فنّ أو مهنة ما أو كلّ ما يعود على الشخص من عائد ماديّ لتمكينه من العيش الكريم وهو التوجيه الفني.

5- عرض النتائج ومناقشتها

بالنسبة للفرضية الأولى: يعتبر المفكر مالك بن نبي أنّ لثقافة المجتمع الجزائري عوامل مؤثرة في استمراريتها.

ومن خلال عرض وتحليل بيانات الجدولين 1 و2 توصلنا إلى النتائج الهامة الآتية:
- الإنسان في فكر المفكر مالك بن نبي أساس العملية الثقافية بل مصدرها باعتباره صانعا وحاملا للأفكار ومنتجا للسلوك الاجتماعي، وهو الحافظ للرصيد الثقافي للمجتمعات بما فيه المجتمع الجزائري؛

- تركيب العناصر الثقافية عند المفكر مالكن بن نبي يستوجب توثيق الصلة الضرورية بين الفرد وبين العوالم الأربعة (عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، عالم العناصر والطواهر الطبيعية)، وهذا ما يحتاجه المجتمع الجزائري للحفاظ على عناصره الثقافية؛

- لتحقيق مشروع ثقافة في المجتمع الجزائري عند المفكر مالكن بن نبي يستوجب توثيق وتمتين الصلة والحمّة الاجتماعية بين الأشخاص، مع ضرورة إحداث التركيب والتأليف لعالم الأشخاص حسب منهج تربوي؛

- مفهوم الثقافة عند المفكر مالك بن نبي هو حياة المجتمع العقلية ضمن واقعه الموضوعي. وهي العلاقة المتبادلة المحددة للسلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، كما تحدّد أسلوب الحياة في المجتمع بالسلوك الاجتماعي للفرد. وبداية تكوين المجتمع هو بداية تكوين عالم أفكاره، وهو الشيء الذي يجب أن يكون في المجتمع الجزائري، وكلما تمّ المحافظة على الأفكار ضمن المجتمع استمراريته؛

- نظام الأفكار عند المفكر مالكن بن نبي وثيق الصلة بالمسألة الثقافية للمجتمع وبتنظيمه وتطوّره، هذا المجتمع تربطه علاقة وظيفية بالأفكار المنتشرة فيه، وعليه فأيّ تغيّر يطرأ في الخصائص الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري ناتج من تغيّر في نظام الأفكار؛

- تظهر الفاعلية الاجتماعية جلياً من خلال نمط الحياة الاجتماعية من جهة ومن خلال سلوك الفرد في الحياة الاجتماعية من جهة أخرى، وتبرز أهمية الأفكار عند المفكر مالكن بن نبي إلى مدى فاعليتها بصفتها منبعاً للثقافة، مادامت محتواة في الشروط النفسية والاجتماعية ولا تزال تحافظ على صلتها الدائمة بها، فالتاريخ كفيل بتجميع الأفكار المميّنة وهي أفكار غير فعالة اجتماعياً، وسحبها من الحياة الثقافية للمجتمع الجزائري؛

- ضرورة الجمع في الثقافة عند المفكر مالك بن نبي بين المحدّد التاريخي والبرنامج التربوي حتى يتسوّى فهمها وتوظيفها في المجتمع. ومجتمع ضاع تاريخه هو مجتمع أضاع ثقافته، كما يرى أنّ البرنامج التربوي في ثقافة ما لا بدّ أن يجمع الاستعدادات والاتجاهات النفسية الاجتماعية والأذواق بطريقة مناسبة، لكلّ فئات وطبقات المجتمع الجزائري؛

- مشكلة الثقافة عند المفكر مالك بن نبي هي مواجهة لمشكلة أسلوب الحياة ومشكلة سلوك الأفراد فيها، وتكمن مشكلة الثقافة عنده من الناحية التربوية في مشكلة توجيه الأفكار.

- بالنسبة للفرضية الثانية: تعدّ المركبات الجزئية (الأخلاق، الجمال، المنطق العملي والتوجيه الفني) إطاراً للثقافة في المجتمع الجزائري؛

ومن خلال عرض وتحليل بيانات الجدول رقم 3 توصلنا إلى النتائج الآتية:

- **الثقافة عند المفكر مالكن بن نبي هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي:** الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة. والمقصود منها: أولاً قوة التماسك الاجتماعي يمثل التوجيه الأخلاقي، ثانياً ما يتصل بذوق الجمال يمثل التوجيه الجمالي، ثالثاً: الاستغلال الأقصى لوسائل الإنتاج ويمثل المنطق العملي، وأخيراً ممارسة فن أو مهنة ما ذات عائد مادي على الفرد يمثل التوجيه الفني أو الصناعة.

- **الأخلاق:** هي مجموعة المبادئ المنظمة لغريزة العيش في جماعة والمستنبطة من الدين.

- **الجمال:** وهو الشكل النهائي الذي تظهر فيه سلوكيات الأفراد في أيّ مجتمع.

- المقاييس الذاتية في الجمال تحدّد أسلوب الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري وتمارس فعاليتها الاجتماعية وتميّز ثقافته.
- الإطار الجمالي تظهر فيه الأعمال الشخصية والإدارية والمهنية للأفراد والمنظمات.
- تراجع ذوق الجمال في ثقافة المجتمع الجزائري بسبب ضعف تفعيله، فالسلوكات تحمل في شكلها مظاهرا جمالية وأثارا اجتماعية.
- ربط المفكر مالك بن نبي المنطق العملي بالأهداف المرجوة والوسائل المتاحة لتحقيق تلك الأهداف، وعليه فهو موازنة بينهما ويقصد به مفهوم التخطيط.
- انعدام المنطق العملي في المجتمع الجزائري يؤدي إلى بروز لا فعالية السلوكات، أي تتصف بالعبثية والفوضى، إذن غياب المنطق العملي يعكس خلل يمس الثقافة وعالم الأفكار.
- الغائب في المجتمع الجزائري هو منطق العمل، لأن تفكير غالبية أفراده يركز على الثروة أكثر من العمل.
- التوجيه الفني (العلم والصناعة): كلّ الفنون والمهن وتطبيقات العلوم عند المفكر مالك بن نبي تدخل في مفهوم الصناعة. ولتحسينها يشترط لها إنشاء مجلس للتوجيه الفني يسمح بإعطاء الأفراد التكوين والتوجيه والمتابعة.
- هذه التراكيب الأربعة للثقافة تميّز حياة الإنسان اتجاهها وسلوكا بطابع ثقافي معيّن يثير تفكيره ويبرز قدراته وطاقاته الإبداعية.
- إحداث نهضة ثقافية عند المفكر مالك بن نبي يقع من خلال تصفية العادات والتقاليد والإطار الخلقي والاجتماعي الموروثة من العوامل السلبية، وتفعيل العوامل الإيجابية البناءة لحياة كريمة.
- تحديد التبادل الثقافي الفعّال عند المفكر مالك بن نبي يساعد على تكوين ثقافة معيّنة، ويجب أن يبدأ من النظرة العامة عن (المحيط) الثقافي، فالثقافة هي أولاً (محيط) معيّن يتحرّك في حدوده الإنسان، فيغذّي إلهامه ويكيّف مدى صلاحيته للتأثير عن طريق التبادل. فكلّ واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى حيّز التنفيذ.

- خاتمة

المجتمع عند المفكر مالك بن نبي هو المحيط الذي يعيش فيه الفرد وتمثّل فيه الثقافة الخصوصية المعرفية والنفسية والاجتماعية التي تربط الإنسان بهذا المجتمع من خلال ما تقدّمه من أذواق، وعادات وألوان، وأنغام، وتقاليد وأشكال وأوزان، وحركات.... كما وضّح علاقتها بمفاهيم هامة كالأفكار والفاعلية الاجتماعية والتاريخ والتربية، لتدخلها مع الثقافة. وأهم وظيفة للثقافة هي تحقيق انسجام وتماسك المجتمع.

يعتبر المفكر مالك بن نبي الثقافة تركيب عام يشمل على تراكيب جزئية يعطيها صفة التوجيه للأفراد وهي: التوجيه الأخلاقي، التوجيه الجمالي، المنطق العملي والتوجيه الفني (العلم أو الصناعة).

تنشأ الأزمة الثقافية في المجتمع الجزائري لما يتعامل مع مفهوم العلم على أنه ثقافة بينما يعتبر المفكر مالك بن نبي العلم مركب رابع من مركبات الثقافة. ولهذا يرى المفكر مالك بن نبي

أنه في المجتمع الجزائري يجب أن تكون الثقافة نابعة من أصوله المستقلة ومقوماته الأساسية، حيث أنه لا يمكن استيرادها كما نستورد المنتجات الحضارية.

دعا المفكر مالك بن نبي إلى تكيف الثقافة الجزائرية كي تستجيب للمطالب الروحية والبيولوجية للمجتمع الجزائري لكي تجعل منه مجتمعا متماسكا يتطور باستمرار ولكي يجد الحلول المناسبة لمشاكله المطروحة بكل منطق وموضوعية.

- قائمة المراجع

- خليل أحمد، خليل ومحمد علي، الكيسي.(2001). *العلاقة بين المثقف والسلطة*، ط1، دمشق، سوريا: دار الفكر.
- مالك، بن نبي.(1984). *مشكلة الثقافة*، ترجمة عبد الصبور شاهين، الجزائر: دار الفكر.
- مالك، بن نبي.(1991). *القضايا الكبرى*، الجزائر: دار الفكر.
- مالك، بن نبي.(1991). *شروط النهضة*، ترجمة كل من عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، الجزائر: دار الفكر.
- مالك، بن نبي.(2002). *بين الرشاد والتهيه*، دمشق: دار الفكر.
- مالك، بن نبي.(2002). *تأملات*، ط6، دمشق، سوريا.
- مالك، بن نبي.(2006). *مجالس دمشق*، ط2، دمشق: دار الفكر.
- نورة، خالد السعد.(1997). *التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي*، ط1، السعودية: الدار السعودية.